لَا يَزَالُ مُسْتَغْرِقًا فِي النَّوْمِ ، ثُمَّ أَخَذَ بِذِرَاعِ وَالِدَتِهِ ، وَخَرَجَ إِلَى حُجْرَتِهَا ، فَقَصَّ عَلَيْهَا مَا حَدَثَ اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ . وَلَمَّا اسْتَيْقَظَ إِبْهَامُ قَدَّمَهُ سَامِي لِوَالِدَيْهِ ، فَرَحَّبَا بِهِ ، وَسُرَّا بِهِ رَفِيقًا جَدِيدًا لَهُ .

ثُمَّ حَمَلَهُ سَامِي عَلَى رَاحَةِ يَدِهِ ، وَذَهَبَا سَوِيًّا إِلَى الْمَدْرَسَةِ ، فَقَابَلَهُمَا التَّلَامِيذُ بِدَهَشٍ كَبِيرٍ وَضَجَّةٍ عَظِيمَةٍ ، كُلٌّ يُرِيدُ أَنْ يَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ ، وَيَسْمَعَ قِصَّتَهُ . إِلَى أَنْ دَقَّ النَّاقُوسُ ، فَأَخَذَهُ سَامِي إِلَى فَصْلِهِ ، وَأَجْلَسَهُ عَلَى حَافَةِ الْمِحْبَرَةِ .

الجنـــدى الســـعيد

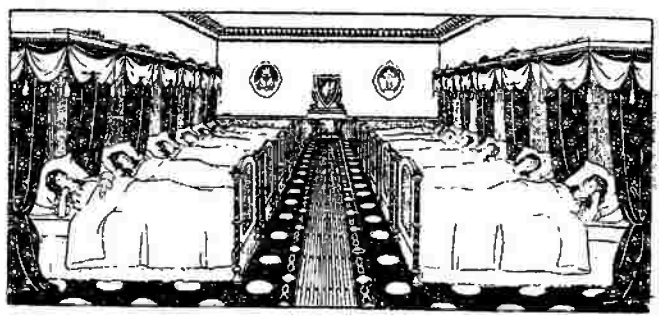

كَانَ لِأَحَدِ الْمُلُوكِ اثْنَتَا عَشْرَةَ بِنْتًا جَمِيلَةً ، وَكُنَّ جَمِيعًا يَنَمْنَ فِي حُجْرَةٍ وَاحِدَةٍ . وَكُلَّمَا ذَهَبْنَ لِلنَّوْمِ ، كَانَتْ تُقْفَلُ جَمِيعُ النَّوَافِذِ وَالْأَبْوَابِ بِإِحْكَامٍ ، بِحَيْثُ يَسْتَحِيلُ خُرُوجُ أَحَدٍ مِنْهَا أَوْ دُخُولُهُ فِيهَا . وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ أَحْذِيَةَ الْأَمِيرَاتِ كَانَتْ تُصْبِحُ بَالِيَةً مِنْ كَثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ ، فَتَسْتَبْدِلُ بِهَا غَيْرَهَا ، وَذَلِكَ هُوَ الْأَمْرُ الَّذِي حَيَّرَ الْمَلِكَ . وَلِذَلِكَ أَعْلَنَ فِي طُولِ الْبِلَادِ وَعَرْضِهَا أَنَّ مَنْ يَكْشِفُ هَذَا السِّرَّ يَكُونُ وَرِيثَ الْعَرْشِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَيَخْتَارُ مَنْ يَشَاءُ مِنَ الْأَمِيرَاتِ زَوْجًا لَهُ . وَلَكِنْ مَنْ يُحَاوِلُ ذَلِكَ وَيُخْفِقُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَثَلَاثِ لَيَالٍ يُقْطَعُ رَأْسُهُ .

وَذَاتَ يَوْمٍ أَتَى أَمِيرٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ ، وَطَلَبَ أَنْ يُعْهَدَ إِلَيْهِ بِهَذَا الْأَمْرِ ، فَرَحَّبَ بِهِ الْمَلِكُ وَأَكْرَمَهُ . وَفِي الْمَسَاءِ أَخَذُوهُ إِلَى الْحُجْرَةِ الْمُجَاوِرَةِ لِحُجْرَةِ الْأَمِيرَاتِ ، وَتَرَكُوا الْبَابَ الَّذِي بَيْنَ الْحُجْرَتَيْنِ مَفْتُوحًا حَتَّى يَرْقُبُهُنَّ طُولَ اللَّيْلِ . وَلَكِنَّهُ نَامَ نَوْمًا عَمِيقًا ، وَلَمْ يَسْتَيْقِظْ إِلَّا فِي الصَّبَاحِ ، حَيْثُ وَجَدَ أَحْذِيَةَ الْأَمِيرَاتِ كُلَّهَا بَالِيَةً ، فَاسْتَبْدَلَ بِهَا أَحْذِيَةً جَدِيدَةً . وَلَكِنْ حَدَثَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلُ مَا حَدَثَ فِي اللَّيْلَةِ الْأُولَى ، وَوُجِدَتِ الْأَحْذِيَةُ فِي الصَّبَاحِ بَالِيَةً ، فَاسْتَبْدَلَ بِهَا أَيْضًا غَيْرَهَا . وَوُجِدَتْ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الثَّالِثِ مَثْقُوبَةً مِنْ كَثْرَةِ

الاستعمال . فأمر الملك بقطع رأسه . وهكذا أتى بعده كثير من الأمراء والعظماء ، ظناً منهم أن الأمر سهل . ولكن آخرتهم كانت واحدة : الفشل فقطع الرأس .

وحدث أن جندياً من الجنود كان قد أبلى بلاء حسناً فى الدفاع عن وطنه ، وجرح فى الحرب ، حتى أصبح غير قادر على البقاء فى سلك الجيش . فقال فى نفسه : « إنى لا أصلح الآن للقتال ، ولا أجد مهنة أخرى ، فلأجرب حظى فى كشف سر الأميرات ، فإن نجحت فربما صرت ملكاً وقائداً أعلى للجيش ، وإن أخفقت فالموت أحب إلى من البعد عن الجيش » . وسار نحو مقر الملك ، فمر فى طريقه ، فى الغابة ، بامرأة عجوز . فسألته قائلة : « إلى أين أنت ذاهب ياولدى؟ » فقال : « إنى ذاهب لكشف سر الأميرات ، فربما أصير يوماً ما ملكاً ، ويكون لى الإشراف الأعلى على الجيش الذى أحبه ، ولا أطيق البعد عن خدمته » . فقالت العجوز : « إنك جندى باسل ياولدى ، وأنت سعيد الحظ ، والأمر الذى تطلبه سهل المنال . فإذا أخذوك لتركب الأميرات ، فاحذر أن تشرب الشراب الذى تقدمه لك إحداهن . وبعد أن تتركك أدع النوم العميق . » ثم قالت : « خذ هذه العباءة ، فإنك إن لبستها صرت مخفياً عن الأنظار ، وتستطيع أن ترقب كل شىء من دون أن يراك أحد . »

وذهب الجندى إلى الملك ، وطلب أن يجرب حظه . فأمر الملك له بلباس فاخر يليق بمن يقدم إلى الأميرات . وفى المساء ذهبوا به إلى الحجرة المجاورة لحجرتهن . وقبل أن يرقد فى فراشه ، قدمت له كبرى الأميرات كأساً من الشراب ، فتظاهر بشربه . ولكنه قذف بما فيه سراً من غير أن يراه أحد ، وترك الكأس فارغاً . وفى الحال ارتفع شخيره مدعياً النوم . ولما سمعت الأميرات هذا الشخير ، أقبلن حول سريره يضحكن منه . ثم رجعن إلى صناديقهن ، ففتحنها وأخرجن ملابس السهرة الحريرية الثمينة ، ولبسنها ، وأخذن يرقصن بأحذيتهن الجديدة فرحاً واستهزاء بالجندى النائم . غير أن صغرى الأميرات قالت : « إنى أشعر بخوف واضطراب ، ونفسى تحدثنى أن سيصيبنا مكروه » . فردت كبراهن ، قائلة : « إنك ضعيفة القلب ياعزيزتى ، فكم من أبناء الملوك أخفق وفشل فى معرفة سرنا . ألم يبق إلا هذا الجندى حتى يخيفنا ؟ لقد أعطيته الجرعة المنومة مثل غيره ، وأنت تسممين شخيره » .

وفى الحال كانت الأميرات كلهن على استعداد للرحيل . فذهبن جميعاً إلى فراش الجندى وضحكن

عَلَيْهِ الضحْكَةَ الْأَخِيرَةَ . وَتَقَدَّمَتْ كُبْرَاهُنَّ مِنْ سَرِيرِهَا ، ثُمَّ صَفَّقَتْ بِيَدَيْهَا ، فَغَارَ السَّرِيرُ فِي الْأَرْضِ ، وَانْفَتَحَ بَابٌ سِرِّيٌّ . وَرَآهُنَّ الْجُنْدِيُّ يَدْخُلْنَ ذٰلِكَ الْبَابَ وَاحِدَةً بَعْدَ الْأُخْرَى . فَقَامَ فِي الْحَالِ وَلَبِسَ الْعَبَاءَةَ الَّتِي أَعْطَتْهَا إِلَيْهِ الْعَجُوزُ ، وَتَبِعَهُنَّ بِكُلِّ سُرْعَةٍ ، فَأَدْرَكَ الْأَمِيرَةَ الصَّغِيرَةَ عِنْدَ مُنْتَصَفِ السَّلَالِمِ ، وَدَاسَ ذَيْلَ لِبَاسِهَا ، فَصَرَخَتْ ، قَائِلَةً : « إِنِّي أَشْعُرُ كَأَنَّ أَحَداً أَمْسَكَ بِثَوْبِي » . فَقَالَتِ الْأُخْتُ الْكُبْرَى : « يَا لَلْغَبَاوَةِ ! إِنَّهُ لَا شَكَّ مِسْمَارٌ فِي السُّلَّمِ أَوْ مِسْمَارٌ فِي الْحَائِطِ » .

وَهٰكَذَا سَارَ الْجَمِيعُ حَتَّى نِهَايَةِ السَّلَالِمِ ، فَوَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ فِي وَسَطِ غَابَةٍ بَدِيعَةٍ ، أَوْرَاقُ أَشْجَارِهَا مِنَ الْفِضَّةِ اللَّامِعَةِ الْبَرَّاقَةِ ، يَتَدَلَّى مِنْ أَغْصَانِهَا عَنَاقِيدُ مِنَ الْمَاسِ . وَبَعْدَهَا مَرُّوا بِغَابَةٍ أُخْرَى أَوْرَاقُ أَشْجَارِهَا مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ ، تَتَدَلَّى مِنْ أَغْصَانِهَا عَنَاقِيدُ مِنَ اللُّؤْلُؤِ الثَّمِينِ . ثُمَّ وَصَلُوا إِلَى بُحَيْرَةٍ عَظِيمَةٍ ، فَرَأَى الْجُنْدِيُّ عَلَى شَاطِئِهَا اثْنَيْ عَشَرَ قَارِباً صَغِيراً ، بِهَا اثْنَا عَشَرَ أَمِيراً مِنْ أَجْمَلِ الْأُمَرَاءِ ، كَأَنَّمَا هُمْ عَلَى مَوْعِدٍ مَعَ الْأَمِيرَاتِ . فَنَزَلَتْ كُلُّ أَمِيرَةٍ فِي قَارِبٍ . أَمَّا هُوَ فَاخْتَارَ أَنْ يَرْكَبَ فِي الْقَارِبِ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ صُغْرَى الْأَمِيرَاتِ . وَبَعْدَ أَنْ سَارَ الْقَارِبُ قَلِيلاً ، قَالَ الْأَمِيرُ : « هٰذَا أَمْرٌ عَجِيبٌ !! بِالرَّغْمِ أَنِّي أَجِدُّ فِي اللَّيْلَةِ بِكُلِّ قُوَّتِي ، فَإِنَّنَا لَا نَتَقَدَّمُ فِي السَّيْرِ كَمَا يَنْبَغِي ! وَأَشْعُرُ أَنَّ الْقَارِبَ ثَقِيلٌ ! » فَقَالَتِ الْأَمِيرَةُ : « رُبَّمَا كَانَتْ حَرَارَةُ الْجَوِّ هِيَ الَّتِي تُضَايِقُكَ » .

وازدهجت الاميرة الصغرى حين شاهدت الكأس يرتفع فى الهواء

وَهُنَاكَ فِي الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ الْبُحَيْرَةِ كَانَتْ تَنْبَعِثُ الْأَنْوَارُ مِنْ قَصْرٍ فَخْمٍ ، يَحْمِلُ النَّسِيمُ مِنْهُ

نَغَمَاتِ الْمُوسِيقَى الْوَتَرِيَّةِ . وَلَمَّا اقْتَرَبُوا مِنَ الشَّاطِئِ نَزَلَ الْجَمِيعُ ، وَدَخَلُوا الْقَصْرَ . وَفِي الرِّدْهَةِ الْكُبْرَى مِنْهُ بَدَءُوا بِالرَّقْصِ ، بِحَيْثُ كَانَ كُلُّ أَمِيرٍ مَعَ أَمِيرَتِهِ . بَيْنَمَا كَانَ الْجُنْدِيُّ يَدُورُ بِالْمَوَائِدِ ، يُلَبِّيهِمْ مَا عَلَيْهَا مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ ، فَيَتْرُكُ الْكُئُوسَ فَارِغَةً ، وَالصِّحَافَ نَظِيفَةً . فَأُعْجِبَتِ الْأَمِيرَةُ الصُّغْرَى بِنَوْعٍ خَاصٍّ ، لِأَنَّهَا شَاهَدَتْ مَرَّةً الْكَأْسَ يَرْتَفِعُ فِي الْهَوَاءِ مَمْلُوءًا ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الْمَائِدَةِ فَارِغًا وَحْدَهُ . وَاسْتَمَرَّ الرَّقْصُ إِلَى السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ صَبَاحًا ، حَتَّى بَلِيَتْ أَحْذِيَةُ الْأَمِيرَاتِ . فَخَرَجْنَ إِلَى الْقَوَارِبِ ، وَجَدَّفَ بِهِنَّ الْأُمَرَاءُ وَلَكِنَّ الْجُنْدِيَّ أَسْرَعَ ، فَرَكِبَ الْقَارِبَ الْأَوَّلَ الَّذِي فِيهِ كُبْرَى الْأَمِيرَاتِ . وَعِنْدَ مَا وَصَلُوا إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ الْبُحَيْرَةِ وَدَّعَتِ الْأَمِيرَاتُ الْأُمَرَاءَ ، وَوَعَدْنَ بِالْعَوْدَةِ اللَّيْلَةَ التَّالِيَةَ . وَلَمَّا اقْتَرَبْنَ مِنَ الْمَدْخَلِ السِّرِّيِّ أَسْرَعَ الْجُنْدِيُّ ، وَسَبَقَ الْأَمِيرَاتِ ، وَنَامَ فِي سَرِيرِهِ وَلَمَّا دَخَلْنَ الْحُجْرَةَ وَاحِدَةً بَعْدَ الْأُخْرَى بِهُدُوءٍ وَحَذَرٍ ، وَسَمِعْنَ شَخِيرَ الْجُنْدِيِّ ، قُلْنَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ ، فَكُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ » ثُمَّ خَلَعْنَ مَلَابِسَهُنَّ وَأَعَدْنَهَا إِلَى الصَّنَادِيقِ ، وَكَذَلِكَ خَلَعْنَ أَحْذِيَتَهُنَّ الْبَالِيَةَ ، وَنِمْنَ نَوْمًا عَمِيقًا مِنْ أَثَرِ التَّعَبِ وَالْمَرَحِ الْكَثِيرِ .

وَفِي الصَّبَاحِ لَمْ يَتَكَلَّمِ الْجُنْدِيُّ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا رَأَى ، بَلْ صَمَّمَ أَنْ يَشْهَدَ الرَّقْصَ اللَّيْلَةَ التَّالِيَةَ ، وَيُمَتِّعَ نَفْسَهُ بِهَذِهِ الْمَنَاظِرِ الْعَجِيبَةِ وَالْأَطْعِمَةِ اللَّذِيذَةِ . وَهَكَذَا فَعَلَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ ، وَلَكِنَّهُ عَادَ وَمَعَهُ كَأْسٌ مِنْ كُئُوسِ الشَّرَابِ الذَّهَبِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَشْرَبُ فِيهَا الْأَمِيرَاتُ وَكَذَلِكَ حَمَلَ مَعَهُ غُصْنًا مِنَ الْأَغْصَانِ الْفِضِّيَّةِ ، وَآخَرَ مِنَ الْأَغْصَانِ الذَّهَبِيَّةِ ، بِعَنَاقِيدِهَا الْمَاسِيَّةِ وَاللُّؤْلُئِيَّةِ .

وَفِي الصَّبَاحِ مَثَلَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ ، فَسَأَلَهُ : « هَلْ كَشَفْتَ السِّرَّ ؟ » . فَقَالَ : « نَعَمْ ، إِنَّ الْأَمِيرَاتِ يَرْقُصْنَ وَيَمْرَحْنَ طُولَ اللَّيْلِ ، فَتَبْلَى أَحْذِيَتُهُنَّ » . فَقَالَ الْمَلِكُ مَدْهُوشًا : « أَفِي حُجْرَةِ نَوْمِهِنَّ ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْمَعَ لَهُنَّ صَوْتٌ ؟ » فَقَالَ الْجُنْدِيُّ : « بَلْ فِي قَصْرٍ تَحْتَ الْأَرْضِ مَعَ اثْنَيْ عَشَرَ أَمِيرًا مِنْ أَجْمَلِ الْأُمَرَاءِ » . وَأَخْبَرَهُ بِكُلِّ مَا رَأَى ، وَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْكَأْسَ الذَّهَبِيَّةَ وَالْأَغْصَانَ مِصْدَاقًا لِقَوْلِهِ . فَطَلَبَ الْمَلِكُ بَنَاتِهِ ، وَسَأَلَهُنَّ عَنْ صِحَّةِ مَا قَالَهُ الْجُنْدِيُّ ، فَلَمْ يَجِدْنَ مَنَاصًا مِنَ الِاعْتِرَافِ بِالْحَقِيقَةِ . فَقَالَ الْمَلِكُ لِلْجُنْدِيِّ : « اخْتَرْ لَكَ ، الْآنَ ، زَوْجًا مِنْ بَيْنِهِنَّ » . فَقَالَ الْجُنْدِيُّ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَظِيمُ ، إِنِّي أَخْتَارُ كُبْرَى الْأَمِيرَاتِ » . فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِإِقَامَةِ حَفْلَةِ الزِّفَافِ فِي نَفْسِ الْيَوْمِ . وَأَصْبَحَ الْجُنْدِيُّ وَارِثًا لِلْعَرْشِ ، كَمَا وَعَدَ الْمَلِكُ .